

الذي كبر وتعلم ، وها هو يتزوج بعيدا عنها ، وتختيل حفل الزفاف والكنيسة وطلعة العروس ، يا ليت كل ذلك كان امامها ! « ما أعظم شوق يافا لان ترى عرسا لاخذ أبنائها ! » ولكن الكابوس ما زال ثقيلا وقد مات طعم الفرح في أفواه الناس . ثم من يزغرد للعريس ؟ أم العروس ؟ ولم لا وقد خلاها الجو ! وتختلط الافكار في رأس سلمى ، وتشعل الشموع في أيدي أبناء بنتها الذاهلين ، وتمسح دموعها وتطلق زغاريدها المخوقة .

الصورة الفلسطينية الثانية طالما وصفتها اقلام الصحفيين العرب وطالما صورتها كاميرات مصوري وكالات الانباء العربية والاجنبية ، اذ لم يعرف العالم صورة في طرافتها ولا في غرابتها ولا في شذوذها ، صورة بوابة « مندليوم » عشية عيد الميلاد من كل عام بعد عام ١٩٤٨ ، حيث يحتشد ابناء فلسطين الذين يعيشون في الداخل ، ليلتقوا خارج البوابة المشنومة بالوافدين للقائهم من الاهل والاقارب والابناء والازواج ، وربما الاحفاد ايضا . وفي ذلك العام بالذات حملت احدى السيارات القادمة عن طريق درعا والرمثا عجوزا مشوقة للقاء ابنتها التي ستحضر من « الناصرة » وقد حملت لها ولاولادها بعض المأكولات والملابس . وعبر الطريق تسلي نفسها والسائق بالثرثرة عن « ماري » واولاد ماري ، وتروي بعض احداث الهجرة ومآسي الفراق : « سبع سنوات مرت على فرقتنا ، تركتها عروسا فصار لديها كريم والياس وعبد النور ، سبع سنوات ، عمر يا بني عمر ، وما استطاعت ان تترك الناصرة الى القدس لقرانا فهي اما حامل او نفساء » . ورغم تعب الطريق ووعثاء السفر الا ان العجوز متمسكة قوية ، تصبر وتتحمل وستأتي ماشية على قدميها لو اقتضى الامر ، حتى تحظى برؤية ماري : « سأقبل ماري فلا أشبع وأشبهها فلا اكتفي واسألها حتى يجف ريتي .. » ستسألها عن يافا ، فربما تكون زارتها ، عن البيت والجيران ، عن البيرة والكنيسة .. وتحمل نهاية القصة مفاجأة قاسية ، لقد مرض زوج ماري فلم تتمكن من الحضور .. والى العام القادم ! أية عبارة درامية تختم بها سيرة قصتها حين تفيق العجوز من غشيتها وتعطي السبل لناقل الخبز وتقول له : « خذها وقبل رأسها عني ، وقل لها على لساني . بعد السلام انني اذا عشت عاما آخر فستأتي اليها زاحفة على قدمي .. واذا عاجلتني رحمة الله ، فلن أموت الا بحسرتين حسرة بلدي ، وحسرة ماري ، وقبلة على خدها ! » . وقد عبرت الكاتبة نفسها عن اهتمامها بالمطالع والخواتيم حين قالت : « المطالع والخواتيم عندي اوليها عناية خاصة ، فقد تثقل العبارة الاخيرة ان لم تكن زحمة وموفقة كل الموحيات والتأثيرات التي احب ان اتركها مع القارئ » (١) .

وتجيء مجموعة « الساعة والانسان » بقصصها المتقنة الحيك ، باحداثها الدرامية ، ومواقفها الساخرة ، ونهاياتها المساوية اليائسة ، ويحظى الفلسطينيون من كل ذلك بنصيب ، فالقصة الاولى من قصص المجموعة قمة في السخرية والمرارة والالم القومي الممض . ولذلك لم يكن غريبا ان صدرتها مجلة الاداب حين نشرت فيها عام ١٩٦١ بالابيات التالية للشاعر العراقي المرحوم بدر شاكر السياب من قصيدته « قافلة الضياع » :

« قابيل أين اخوك ؟ »

— « يرقد في خيام اللاجئين

السبل يوهن ساعديه ، وجثته أنا بالدواء

والجوع لعنة آدم الاول وارث الهالكين

ساواه والحيوان ثم رماه أسفل سافلين